... شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكبُها...

من روايات الطبراني وأبي نعيم وغيرهما أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه كان يدافع عن رسول الله ﷺ ، فأصيبت عينه يوم أُحد ، حتىٰ وقعت علىٰ وجنته ، فأتىٰ بها إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله! إن لي امرأة أحبّها أخشىٰ إن رأتني تقذرني[1].

فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردّها إلىٰ موضعها ، وقال: «بسم الله ، اللهم اكسه جَمالاً» فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرىٰ.

وقد وفد علىٰ عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجلٌ من ذرّية قتادة ، فسأله عمر: من أنت؟ فقال:

أبونا الذي سالت علىٰ الخدّ عينه ... فرُدَّت بكفّ المصطفىٰ أيّما ردِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدِّ

فوصله عمر وأحسن جائزته.

وكيف لا ، والله سبحانه قد خصّ خاتم الأنبياء بخصوصياتٍ لم يُعطها أحدٌ من قبله ، بل وما أُعطي نبيّ من الأنبياء شيءٌ إلاّ وكان للمصطفىٰ صلوات الله عليه مثله ، وصدق البوصيري عندما قال:

وكل آي أتىٰ الرسل الكرام بها ... فإنما اتّصلت من نوره بهمِ
فإنه شمس فضلٍ هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في الظلمِ

---

(١) أي: تكرهني.

مثال ذلك ما قاله العارفون بالله: إن مما أعطيه موسىٰ عليه السلام تفجير الماء له من الحجارة ، أُعطي رسول الله ﷺ أن الماء تفجّر من بين أصابعه ، وهذا أبلغ ، لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء ، ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم ، ويرحم الله القائل:

وكل معجزةٍ للرسل قد سَلَفَتْ ... وافىٰ بأعجب منها عند إظهارِ
فما العصا حيّةٌ تسعىٰ بأعجب من ... شكوىٰ البعير ولا من مشي أشجارِ
ولا انفجار معين الماء من حجرٍ ... أشدّ من سلسل من كفّه جارِ

أجل يا خاتم الأنبياء يا محمد!

لقد أرسل الله الأنبياء إلىٰ أقوامهم ، فكذّب الأقوام الرسل ، فأنزل الله العقاب بهم ، إلا أن الرسول الخاتم ﷺ لم يدع علىٰ قومه الذين وقفوا ضدّه إلاّ بالهداية ، فكان كما أخبر عنه الله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. فصلوات الله علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين ، ونخصّ بالذكر خاتمهم محمداً ﷺ.

* * *